# مقاربة سوسيو ثقافية في مضمرات الرواية الجزائرية المعاصرة

## رواية "قلب الإسباني" لجميلة طلباوي أنموذجا

**Socio-Cultural Approach in the Subtexts of Contemporary Algerian Novel**

**The novel "The Heart of the Spanish" by Jamila Talabawi as an example**

**ط.د حياة بوسعدة[1,*]، د. حسين بوفناز[2]**

[1] جامعة بسكرة، (الجزائر)، heyat.boussaada@univ-biskra.dz

[2] جامعة سطيف، (الجزائر)، h.boufenaz@univ-setif2.dz

**تاريخ الإيداع:** 2024/01/18 **تاريخ المراجعة:** 2024/05/30 **تاريخ النشر:** 2024/06/30

**ملخص:**

تعد الأنساق الثقافية بشقيها الظاهر والمضمر، مفهوما من المفاهيم المركزية التي جاء بها النقد الثقافي، مفاهيم قدّمت للباحث آليات إجرائية بديلة، تمكنه من تحليل البنى النصية وتفكيكها، ومن ثم استنطاق مختلف الأنساق الغائبة انطلاقا من الأنساق الحاضرة، ما يولد جدلية الحضور والغياب التي هي أداة توالد الدلالات وتكاثر المعاني.

على هذا الأساس، فقد وقع اختيارنا على النص الروائي بما هو أحد أكثر المجالات خصوبة التي تتموضع ضمنها مختلف القضايا والأنساق الثقافية والاجتماعية والتاريخية والسياسية المسكوت عنها والغير مصرّح بها، حيث وقع اختيارنا بناء على ذلك على رواية "قلب الإسباني" للكاتبة الجزائرية "جميلة طلباوي" وذلك لارتباطها بكينونة الإنسان داخل المجتمع الجزائري بكل قيمه الفكرية والثقافية، التي هي غاية هذه الورقة البحثية وهدفها.

هذا، وقد تمّ تشييد هذه الورقة البحثية على إشكالية عامّة، هي: ما مدى تجلّي البعد السوسيو ثقافي في رواية "قلب الإسباني للكاتبة جميلة طلباوي؟

**الكلمات المفتاحية:** النقد الثقافي، النسق، المضمر، قلب الإسباني.

***Abstract:***

*The cultural patterns, in both their apparent and underlying aspects, constitute a concept central to cultural criticism. These concepts have introduced alternative procedural mechanisms to the researcher, enabling them to analyse and deconstruct textual structures. Consequently, they allow for the interrogation of various latent patterns based on the present ones, giving rise to the dialectics of presence and absence. This dialectic serves as a tool for generating meanings and multiplying interpretations.*

* المؤلف المراسل.

*On this basis, we have chosen the genre of the novel as one of the most fertile fields encompassing various issues and cultural, social, historical, and political patterns that are often overlooked or undisclosed. Our choice, therefore, falls on the novel "The Heart of the Spaniard" by the Algerian author Jamila Talabawi. This selection is based on its connection to the human condition within Algerian society, with all its intellectual and cultural values. These values constitute the essence and objective of this research paper.*

*Thus, this research paper has been constructed around a general problem: To what extent does the socio-cultural dimension manifest itself in the novel "The Heart of the Spaniard" by the author Jamila Talabawi?*

***Key words**: Cultural Criticism, Patterns, Subtext, The Heart of the Spaniard.*

**أولا. مقدمة:**

تعد الأنساق الثقافية بشقيها الظاهر والمضمر، مفهوما من المفاهيم المركزية التي جاء بها النقد الثقافي بوصفه مشروعا بديلا عن النقد الأدبي، كما أنّها مرتكز هذا التوجه النقدي من حيث مفاهيمه ومن حيث أدواته الإجرائية، إلى درجة التسليم بأنّ النقد الثقافي مُشيَّد أساساعلى فكرة "الأنساق الثقافية المضمرة" ، ذلك أنّ فاعليته المنهجية تولّدها هذه الفكرة وهذا المفهوم، بحيث تُوفر للباحث آليات إجرائية وخطوات منهجية تمكّنه من تحليل البنى النصية وتفكيكها، ومن ثم استنطاق مختلف الأنساق الغائبة انطلاقا من الأنساق الحاضرة، ما يولد جدلية الحضور والغياب التي هي أداة توالد الدلالات وتكاثر المعاني، التي من دون شك تحقق وجود المضمر وتُغَيِّب الظاهر. ويثير هذا الجدل جملة من القضايا الثقافية، التاريخية، الاجتماعية، والسياسية التي -في عمومها- تشكل ثقافة نص رواية "قلب الإسباني".

بناء على هذا، يمكن اعتبار النص الروائي أحد أكثر المجالات خصوبة التي تتموضع ضمنها مختلف القضايا والأنساق الثقافية والاجتماعية والتاريخية والسياسية المسكوت عنها والغير مصرّح بها، التي من خلالها يلج الباحث/ القارئ علم الرواية، مشبعا بلذة الاكتشاف وهو يترصد الأنساق المضمرة بكل أبعادها ممّا يشكل هوية المجتمع.

تعتبر رواية "قلب الإسباني" للكاتبة الجزائرية -الفائزة بجائزة تكريمية عن أحسن عمل روائي باللغة العربية مؤخرا- توليفة من الأنساق الاجتماعية لارتباطها بكينونة الانسان داخل المجتمع الجزائري بكل قيمه الفكرية والثقافية، التي هي غاية هذه الورقة البحثية وهدفها، ورقة تسعى للإجابة على إشكالية عامّة، هي: ما مدى تجلّي البعد السوسيو ثقافي في رواية "قلب الإسباني للكاتبة جميلة طلباوي؟

**ثانيا. مدخل مفاهيمي**

تعد المصطلحات مفاتيح العلوم، هذا ما يدفعنا للوقوف عندها في هذا المدخل لما لها من أهمية خاصة في المناهج القديمة وكذا الحديثة والمعاصرة على حد سواء، فلكل منهج جهازه المفاهيمي والمصطلحاتي الذي يميزه عن غيره، وفي دراستنا هذه حاولنا الوقوف عند مصطلح "الأنساق" وكلنا رغبة وسعيا لتسليط الضوء على

الأنساق الاجتماعية/ الثقافية المتجلية في رواية "**قلب الإسباني**" لجميلة طلباوي، ولعلّ أول ما يصادف القارئ لعنوان الدراسة مصطلح "الأنساق" الذي يفرض نفسه للخوض في خضمّه، حيث يُعتبر هذا المصطلح نقلة من مرحلة الدراسات السياقية إلى الدراسات النسقية –البنيوية وما بعدها- التي صبّت تركيزها الأساسي على النص وبنياته التي تتفاعل فيما بينها وتتظافر، لتشكّل لنا "نسق".

وعليه جاء التركيز في هذا المدخل على مفهوم "النسق" في جذره اللغوي والاصطلاحي، بالإضافة إلى مفهوم "النقد الثقافي"، ثم النسق والنقد الثقافي كمصطلح عام. الذي هو جوهر الدراسة التي نحن بصدد الخوض في غمارها.

**1-مفهوم النسق Système:**

تعددت المفاهيم لهذا المصطلح في كلا الجانبين اللغوي والاصطلاحي، لذا وجب علينا أن نتطرق إلى ومضات ومقتطفات منه.

**1-1-النسق في اللغة:** لقد ورد تعريف النسق في **معجم العين** كما يلي: "نسقَ: النّسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونسقتُه نسقًا ونسقتُه تنسيقًا، ونقول اتَّسقتْ هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسّقتْ"[1]. هذا معناه أن النسق عند الفراهيدي هو كل شيء منظم ومرتب على نظام واحد، وصار في شكل ومنحى واحد، وورد أيضا في لسان العرب بذات المفهوم لكن بشيء من التفعيل، حيث نجده على هذا النحو: "نسَّقتُه: نظمه على السواء، وانتسق هو تناسق، والاسم النَّسق، وقد انتسقت، والنحويون يسمّون حروف العطف بحروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحد"[2].

وورد في **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس بأن: "نسقَ: النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء"[3]. من خلال ذكرنا لمفهوم النسق في جذوره اللغوية، نجد أن هذه التعريفات تشترك فيما يلي:

- النسق هو ما كان على نظام واحد وجرى مجرى واحد.
- عطف الكلام بعضه على بعض نسق، ولذلك يُطلق على حروف العطف حروف النسق، بمعنى أن النسق يطلق على الأشياء المتتابعة والمنظمة في مجرى واحد.

**1-2-النسق في الاصطلاح:** تعددت تعريفات "النسق" بتعدد الاتجاهات والمنطلقات المعرفية التي تبنّته، فكل ناقد يعرّفه وفق خلفياته ومنطلقاته، ونورد جملة من هذه التعريفات لنقاد غربيين وعرب على حد سواء، لكن قبل هذا يجدر بنا الإشارة إلى أنه رغم هذا التعدد إلا أن أغلب هذه التعريفات إن لم نقل كلها تشترك في أن النسق يقوم على فكرة التكامل والتناسق بين العناصر المشكّلة له.

إنّ من أبرز الدارسين الغرب الذين اهتموا بـ "**قضية النسق**" العالم اللغوي اللساني "**فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure**" حيث نالت جزءًا مهما من أعماله، فهو يرى أن النسق: "تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقاتها فيما بينها لا مستقلة عن بعضها"[4]. بمعنى أن الدراسات اللغوية أدخلت مفهوم النسق، لكنها كفت على أن تكون كيانات مستقلة معزولة، ويتم النظر إليها في شكلها الترابطي، وأن النسق عقلاني وعقلانيته غير قصدية[5]. أي أن الوحدات اللغوية في الخطابات والنصوص، هي في علاقات تجاور وانسجام وتماسك، ومن خلال هذا الترابط تكتسب دلالاتها وتصل إلى المعنى المميز لهذا النص أو الخطاب.

ونجد تعريف آخر لـ"**إيديث كريزويل I. Krousse wile**" عن النسق يقول فيه: "نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكّل كلاً موحّدًا وتقترن كلّيته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها"[6]. بمعنى أن قيمة النسق تتشكّل من خلال النظام الذي يكمن في علاقة العناصر فيما بينها فلا قيمة لعنصر بذاته إلا في علاقة بالعناصر الأخرى، بالإضافة إلى التعريفين السابقين، نجد مفهوم للناقد "**بارتالونفي V. Bertalanfy**" يقول بأن النسق: "مجموعة العناصر المتداخلة فيما بينها، أي أنها ترتبط فيما بينها بعلاقات، حيث إذ تغيّر أحد هذه العناصر أدى إلى تغير العناصر الأخرى، هنا فكرته تشبه فكرة "**كارل ماركس**" في أن أي تغيّر في البنية التحتية يؤدي بالضرورة إلى تغير في البنية الفوقية، ففكرة النسق عند **بارتالونفي** تتأسس على أن الكل لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة أجزائه في علاقتها بعضها ببعض، وفي علاقتها بالعملية الكلية للأداء. إذن، فالفكرة الأساسية في مفهوم النسق هو أن ما يهم هو العلاقة **La relation** الموجودة بين عناصر النسق، وحتى العلاقة الموجودة مع عناصر أنساق أخرى، وليس العناصر في حد ذاتها، فالعلاقات هي التي تحافظ على الكل ضمن نسق.[7]

هذه عيّنة من التعريفات التي أوردها النقاد والدارسون الغرب لمصطلح "النسق" التي نجدها تقوم على فكرة أساسية، وهي أن "النسق" يتشكل من مجموعة عناصر، وأنّ هذه العناصر في نظام متماسك ومرتبط، يجعل كل عنصر في علاقة مع العنصر الذي يليه والعنصر السابق له، وهذا ما يكسب النصوص الصورة والدلالة الكاملة في النهاية داخل النص أو الخطاب.

أما بالنسبة للنقاد العرب الذين تطرقوا إلى مفهوم النسق، نجد "**عبد الله الغذامي**"، لكن لم يكن هو السّبّاق له بل سبقه "**كمال أبو ديب**" في كتابه "**جدلية الخفاء والتجلي**"، حيث وجد أن النسق يطغى على كل نشاط فني وهو نسق ثلاثي، فيعطي إحساسا للقارئ بأنه سيعود ليتكرّر من جديد ولكنه لا يمضي من تكراره بصورة نهائية، بل يكتمل بعد الحدوث الثالث له، ثم ينحل ليحدث تغيُّرا في البنية، فهذه الأنساق تجسّد الخصائص الأصيلة في بنية الفكر الإنساني.[8]

كما نجد مفهومًا آخر للنسق يعرّفه "**محمد مفتاح**" في قوله: "مهما اختلفت تعريفات النسق فإنه ما كان مؤلفا من جملة من عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها وتتعالق لتكون تنظيما هادفا إلى غاية، وهذا التحديد يؤدي إلى نتائج عديدة"[9]. ويقصد محمد مفتاح هنا، أن العناصر التي تتماسك وتتعالق فيما بينها هي ما تشكّل النسق، وهي لديها غاية تريد الوصول لها، أي تؤدي دلالة ما، وهذه الدلالات هي الموضوع الذي يبحث فيه النقد الثقافي لأنه يسعى إلى تحليل غاية هذه الأنساق لمعرفة أبعادها الثقافية، أما "**عبد الله الغذامي**" يجعل من النسق ركيزة أساسية في مشروعه الموسوم بالنقد الثقافي، حيث قال: "ما النسق الثقافي؟ وكيف نقرؤه؟ وكيف تميزه عن سائر الأنساق؟"[10].

هذه مجموعة الأسئلة التي طرحها الغذامي حول مفهوم "النسق" وقام بالإجابة عنها في جملة من العناصر التي قام بإبراز دور النسق ووظيفته داخل الخطاب، يقول: "يجري استخدام النسق كثيرا في الخطاب العام والخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوّه دلالاتها. وتبدأ بسيطة كان ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط، وقد تأتي مرادفة لمعنى البنية "**Structure**" أو معنى النظام "**Système**" حسب مصطلح دي سوسير".[11]

هنا يبيّن لنا الغذامي الدلالات التي يكتسبها النسق في استعمالاته، لكن بالنسبة له يكتسب عنده دلالة وسمات اصطلاحية خاصة يحددها فيما يلي:

**أ.** يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلاّ في وضع محدد ومقيد.

**ب.** تقرأ النصوص والأنساق قراءة خاصة، قراءة من وجهة نظر النقد الثقافي، وهذا لأنها حاملة لشحنات ثقافية، وليست مجرد نصوص أدبية وجمالية فحسب، لهذا تعددت الدلالات النسقية في النصوص، والأصل النظري للكشف والتأويل، مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى منها الصريحة والضمنية. وكذلك الإقرار بوجود القيمة الفنية وغيرها من القيم النصوصية التي لا تلغيها الدلالة النسقية، ويشير الغذامي إلى أن هذه القيم الجمالية ما هي إلا أقنعة تبيّنها الدلالات، هي أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق التي يعمل النقد الثقافي للكشف عنها.[12]

من خلال ما سبق ذكره من تعريفات لمفهوم "النسق" في كلا الجانبين اللغوي والاصطلاحي، نخلص إلى أن مصطلح "النسق" يقوم على فكرة التماسك والنظام الواحد، لهذا كان قريب من مفهوم النظام الذي صاغه اللغوي فرديناند دي سوسير، أما إذا تحثنا عن وظيفته ووجوده داخل الخطابات، فهو أقرب إلى مصطلح البنية من خلال تفاعل العناصر وعلاقتها ببعض.

**2. مفهوم النقد الثقافي La critique Culturelle:**

يعد مفهوم "النقد الثقافي" من بين المفاهيم الشائكة والمعقدة، لارتباطه بمصطلح الثقافة من جهة، وكذلك تداخله مع عدة مصطلحات من ذات الطبيعة والحقل الذي ينتمي إليه من جهة أخرى، نذكر على سبيل التمثيل: نقد الثقافة "Critique de la Culture" والدراسات الثقافية "Cultural Studies"، إضافة إلى هذا، ربما هذا التعقيد راجع إلى أنّه قام على جملة من التراكمات المعرفية وتفاعله مع العديد من النظريات كالتفكيكية والتأويلية مثلا، والمناهج النقدية كالسيمياء والبنيوية وغيرها، لكن رغم كل هذا نجد جملة من النقاد الغربيين والعرب على حد سواء وظفوا مفاهيم النقد الثقافي كل حسب توجهه، نذكر منها جملة المفاهيم التالية:

يعرّف "أرثر أيزابرجر Arthr Aizabrgr" النقد الثقافي بقوله: "النقد الثقافي نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته... فمهمته متداخلة ومترابطة ومتجاورة ومتعددة، فالنقد الثقافي يستخدم مفاهيمًا وأفكارًا متنوعة، فهو يشمل نظرية الأدب وعلم الجمال والنقد والتفكير الفلسفي... وبمقدوره أيضا تفسير نظريات ومجالات علم العلاقات ونظرية التحليل النفسي، والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية..."[13].

من خلال مفهوم أيزابرجر للنقد الثقافي، فهو يعد استراتيجية قامت على مصادر وخلفيات متعددة ومتنوعة، وبإمكانه الانفتاح، وتفسير مختلف الظواهر التي تسعى النظريات والمناهج الأخرى فهمها، وتحليلها وتفسيرها، لأنه يقوم على ذات الأسس التي تتخذها النظريات والمناهج السابقة له في عملية تحليلها.

كذلك أورد "حفناوي بعلي" في كتابه الموسوم "مدخل في النقد الثقافي المقارن" بأنّ: "النقد الثقافي نشاطا وليس مجالا معرفيا قائم في ذاته، وهو لا يدور حول الفن والأدب فحسب، وإنما حول الثقافة في نظام الأشياء

بين الجوانب الجمالية والأنثروبولوجية"[14]؛ بمعنى آخر أنّ النقد الثقافي ينظر إلى النظر عموما بوصفه حدثا ثقافيا بالدرجة الأولى بصرف النظر عن مستواه الجمالي، فهو يبحث في الثقافة المضمرة خلف هذا الجمال الأدبي.

في تعريف آخر نجد أن النقد الثقافي: "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره، ويعبّر عن مواقفه إزاء تطوراتها وسماتها"[15].

نستنتج من هذا المفهوم، أنّ الثقافة هي مجال الدراسة الذي يبحث فيه النقد الثقافي، وهو يمتاز بسمة الشمولية، فهو يدرس الثقافة كظاهرة في شموليتها، وكذلك تتجلى هذه الشمولية في انفتاحه على النظريات والمناهج النقدية في تعاملها مع النصوص والخطابات.

### 3. النسق والنقد الثقافي Système et la critique Culturelle:

إن النقد الثقافي نظرية حداثية في مجال النقد عني بدراسة النصوص والخطابات، من حيث تقرأ بأنساقها الثقافية المختلفة، كما أنه: "فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه"[16].

يعتبر عنصر النسق مركز في مشروع النقد الثقافي، ونستشف من المفهوم الذي قدّمه الغذامي أن النقد الثقافي جاء لدراسة الأنساق المضمرة الموجودة داخل الخطابات الثقافية، "وأنه يكتسب عنده قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة"[17]. كما أن الغذامي وضع جملة من الأسئلة حول النسق الثقافي وكانت إجابته ملخصة في سبعة نقاط، لعل أهمها حين ربط النسق بالثقافة، وقال بأنه ليس من صنع المؤلف بل عبارة عن دلالة مضمرة صنعتها الثقافة وكتبتها وغرستها في الخطاب، وأن النسق الثقافي ذو طبيعة سردية خفي يستخدم أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية، بالإضافة إلى قوله أن الأنساق الثقافية أنساق تاريخية، أزلية راسخة ولها الغلبة دائما، ويمكن أن نضيف، فنقول أن علامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق[18].

إذن، من خلال ما طرحه عبد الله الغذامي، نخلص إلى أنّ النسق الثقافي هو نسق مميز لديه خصائص تميزه عن غيره من الأنساق الأدبية (الجمالية)، وكذلك اللغوية، وهذا يعود إلى أنه مضمر ويتخفى وراء قناع الجمال، لكن هذا لا ينفي وجوده داخل الخطاب، فالأنساق الثقافية موجودة منذ الأزل على حد تعبير الغذامي، وكذلك يقول الغذامي أن النسق يتحدّد من خلال وظيفته، كما ذهب إلى القول أنّ النقد الثقافي يتحدّد هو الآخر من خلال وظيفته أيضا، فالنقد الثقافي معني بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، إنما فرضه كشف المضمرات كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي، لذا فهو نظرية تكشف حركة الإنسان وفعلها الصاد للوعي وللحس النقدي[19]، فالنسق هو العنصر الذي أضافه عبد الله الغذامي إلى نموذج جاكبسون المكوّن من ستة عناصر لأنه يرى أنه يجب إضافة العنصر النسقي من أجل إنجاح مشروعه، وكذلك مع إضافة العنصر النسقي يتيح المجال للرسالة ذاتها بأن تكون مهيأة لتفسير النسق، وأن هذا الإجراء يكسب اللغة الوظيفية

السابعة (الوظيفة النسقية)، وهذه الوظيفة ليست من اختراعه، إنما يصرح الغذامي أن كافة أنماط الاتصال البشري تضمر دلالات نسقية، تؤثر على كل مستويات الاستقبال الإنساني في الطريقة التي بها فهم وتفسير.[20]

يقول أنّه: "إذا سلّمنا بوجود العنصر السابع (النسقي) ومعه (الوظيفة النسقية) فإن هذا سيجعلنا في وضع نستطيع معه أن نوجه نظرنا نحو الأبعاد النسقية التي تتحكم بنا وبخطاباتنا، مع الإبقاء على ما ألفنا وجوده وتعودنا على توقعه في النصوص من قيم جمالية ودلالية، وما هو مفترض فيها من أبعاد تاريخية وذاتية واجتماعية، كل ذلك قائم وموجود لطالبه، وإضافة إلى ذلك الوظيفة النسقية عبر العنصر النسقي"[21].

بناء على ما ذهب إليه عبد الله الغذامي حول مفهوم "النسق والنقد الثقافي"، نجد أنّ العنصر النسقي ركيزة أساسية في مشروعه –النقد الثقافي-، جاء للكشف عن هذه الأنساق والمضمرات داخل النص/ الخطاب.

**ثالثا. النسق السوسيو ثقافي في رواية "قلب الإسباني":**

لقد حملت رواية "قلب الإسباني" جملة من الأنساق المضمرة غير المعلن عنها صراحة، مع الإشارة أنّنا سنكتفي بالكشف عن أهم الأنساق السوسيو ثقافية في مدونة الدّراسة، وذلك نظير ما تتضمنه من أنساق ظاهرة ومضمرة تبيّن لنا موقف الروائية من الواقع المحيط بالإنسان، خاصة وأنّ الرواية تعكس واقعا تمتد جذوره إلى قديم ساحق، وهو الصراع بين الشرق (الأنا العربية) والآخر (الغربي الأجنبي)، ذلك لأنّ أحداث الرواية دارت في مكانين مختلفين وثقافتين مختلفتين في الأنا العربية تحديدًا بمدينة بشار الجزائرية، وآخر غربي -تحديدًا- في إسبانيا، كلّ هذا يعكس لنا الرؤية الثقافية والكم المعرفي، والتحصيل الثقافي اللامتناهي للروائية الجزائرية جميلة طلباوي.

يشكّل النسق الاجتماعي محورًا أساسيًا في رواية "قلب الإسباني"، فقد صوّرت الرواية المظاهر الاجتماعية المختلفة، لأنها عرضت أحوال الناس وما يصيبهم من مآس داخل المجتمع، وتحديدا المجتمع العربي الجزائري، لأنّ لكلّ مجتمع نسقًا اجتماعيًا عامًا يحوي كافة أوجه السلوك الإنساني، وكذلك النظم، والقيم الاجتماعية (عقيدة، عادات وتقاليد...) تتحكم في تكوين الإنسان الذي ينتمي إليه. فقد أصبحت الرواية الجنس الذي خاض في جميع المعالم والمجالات وعالجت الواقع والمجتمع الإنساني، من حيث تصويره بمختلف أوجهه وسلوكاته، وخير مثال هذه الرواية التي بين أيدينا "قلب الإسباني" لجميلة طلباوي، التي عالجت فيها جملة من التجارب والقضايا الاجتماعية تتعلق بالصراعات القائمة بين الأنا والآخر، بين المرأة والرجل بالإضافة إلى قضايا اجتماعية، مثل: الفقر والآفات الاجتماعية (تناول المخدرات). انطلقت جميلة من تصوير عائلة جزائرية بالتحديد جنوب الجزائر (مدينة بشار)، وصفت الأماكن والعادات والتقاليد، التي تميّز هذه المنطقة، ثم انتقلت إلى وصف وتصوير النوازع النفسية والمواقف الإنسانية الغامضة التي ربطتها بسلوكات الشخصيات في تسيير الأحداث، وكذلك الظواهر الاجتماعية المضطربة التي عانتها هذه الأسرة في سبيل العيش.

ومن بين الأنساق الاجتماعية في الرواية نجد منها قسمين: ظاهر، مثل الفقر، تناول المخدرات، عدم توفير فرص العمل للمتعلمين وغيرها، وأخرى مضمرة، منها: نسق المرأة بين المركز والهامش، الصراع بين الأنوثة والذكورة، نسق المرأة بين الحرية والتعقيد، الصراع بين الأنا والآخر، وأنساق أخرى سنحاول التفصيل فيها، وأن نبيّن كل نسق من الأنساق المذكورة وتجلياته داخل الرواية فيما يأتي:

**1. نسق المرأة بين المركز والهامش:**

تُعدّ قضية المرأة من أهمّ القضايا المطروحة في عصرنا هذا، حيث تفتح أمامنا آفاقًا واسعة للبحث فيها ووضعها الاجتماعي، صوّرت لنا جميلة طلباوي المرأة ومكانتها في المجتمعات، استهلّتها بوصف المرأة ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع الجزائري من خلال سردها لأحداث عائلة من جنوب الجزائر تحديدًا بمدينة بشار، هذه الأسرة التي عانت من جميع المآسي والظروف الاجتماعية القاهرة، ولم تسلم حتى من فكرة أنّها كانت عائلة للبنات فقط، هذه القضية بقيت راسخة في الفكر العربي الجزائري إلى اليوم، لأنه منذ القديم والعرب ينتصرون، لنذكر على حساب الأنثى وقاموا بتهميش المرأة بشكل كلّي طرحت جميلة طلباوي هذه الفكرة في روايتها "قلب الإسباني" لكن بشكل مضمر خلال سردها لأحداث العائلة والقارئ المثقف يستطيع كشف واستنتاج هذه الإشارة من خلال قراءته لجملة من الملفوظات السردية المتواجدة في الرواية، نذكر منها قولها: "فقد ولد ذكرين وسط ثلاث بنات مسعودة ومبروكة والعايشة، والدتهم خالتي أم العيد أدركت قيمة أن تلد ذكرًا بعدما كانت لا تنجب إلا البنات، وبعد طول انتظار، لذ كانت فرحتها غامرة وهي تضع الذكر الذي سجّل انتصارها على القهر والظلم"[22]. في هذا المقطع السردي يدعم الفكرة التي طرحناها سابقا، لأنّ الأمّ التي كانت تلدُ البنات فقط تقهر وتهمش من طرف العائلة والمجتمع هذا راجع إلى النظرة الدونية تجاه الأنثى من طرف المجتمع، الذي يحيط وتعيش فيه المقابل تمجد الذكر حتى وأكثر من ذلك ميلاد الذكرين "أيوب" و"عبد النور" كان الانتصار المنتظر لأمهما "أم العيد" انتصرا على والدة زوجها التي تهددها بتزويج ابنها الزوجة الثاني التي تنجب الذكر لابنها من أجل الحفاظ على نسله داخل المجتمع، ووصل بها الأمر إلى درجة أنها تحرمها من لذة التوحم أثناء حبلها بأنثى نجد هذا في قول الروائية: "قدوم أيوب أنساها أوجاعها وكلام الجدة "أما ستي" الجارح بأنها عاجزة عن إنجاب الذكر، أنساها قسوة هذه وهي تحرمها من الاستمتاع بلذة الوحم... وحرّضت ابنها ألا ينحرف وراء رغباتها فيحضر لها كلّ ما اشتهت فلن تمنحه في النهاية سوى أنثى"[23]. الأنثى مهمشة في المجتمعات العربية هذا لأنّ هذا المجتمع ذكوري يرى أنّ القوة والمركز لا يكون إلا بميلاد الذكر هذه الفكرة موجودة في العقل لا التفكير العربي منذ العقود الجاهلية، معناه أنه رغم دخول الإسلام الذي أعاد الاعتبار للمرأة بعدما كان يمارس عليها جميع أنواع الاضطهاد والتهميش، فقد كانت طفلة، ورغم التعليم والتثاقف بين الشعوب العربية والأجنبية إلا أنّ قيمة الذكر في الثقافة والمجتمع العربي عامة والجزائري على وجه الخصوص لم تفقد البريق والريادة منذ الجاهلية إلى يومنا هذا مازالت بقايا التعصب والانحياز للذكر على حساب الأنثى موجود في ثقافتنا العربية، إنجاب الذكر بمثابة الهدف في حياة الأسرة الجزائرية حتى أنه تتجه النساء إلى شتى الوسائل للإنجاب أمثال النساء الكبار في السن اللائي يصنعن خلطات للإنجاب، وهي عادة من عادات العرب قديما النساء يلدن على يد هذه الخبيرة صورت لنا جميلة طلباوي هذه الفكرة في شخصية "أمّا عقيدة" حيث آمال "أمّ العيد" والدة البنات، وأملها في إنجاب الذكر الذي يعيد اعتبارها داخل الأسرة والمجتمع جعلها تلجأ إلى "أمّا عقيدة" في قولها: "كثيرًا ما سمعت خالتي أمّ العيد الجدة "أماستي" تحدّث "أمّا عقيدة" ونسوة الحي وتشي لهن سوء حظ ابنها الذي تزوّج من هذه المخلوقة التي يعاف الذكر رحمها متوسلة إلى "أما عقيدة" أن تعطيها وصفة تحقق لها الأمنية فتحبل كنتها بالذكر"[24]. أصبح ميلاد الذكر أمنية العائلة رغم أنّ هذه العائلة فيها ثلاث زهرات فتيات بسند العائلة وحين كانت الجدّة "أمّا ستي" طريحة الفراش لا تجد من يسندها سوى البنات مبروكة والعايشة ومسعودة، بالرغم من كلّ هذا، وما تقدمه الفتيات إلا أنه الجدة لا تقوم بشكرهن على جهودهن بل كانت تقول لهن: "الله يجيب لي يخاويكم يا الوليات، يا

المسكينات"[25]. بالإضافة إلى أنّ الجدة كانت تردّد قول من الأمثال الشعبية التي تمجّد الذكر وتنقص بل تنفي وجود المرأة ومكانتها تمامًا، والمتمثل في: "اللي ما عندها رجال تكوي صدرها بالحجار"[26]. لولا أهمية وجود الذكر في العائلة الجزائرية لما عانت هذه الأسرة في سبيل هذا الموضوع، والهاجس في إنجاب الذكر لم يغب عن ذهن الأب "أبا هدي" الذي كان يحب بناته ولم يبخل عليهن حتى بالعقيقة لكن ضغط المجتمع عليه بسبب عدم إنجابه الذكر الذي يكون وريثه وحامل اسمه وحافظ لنسله جعله لا يجالس الرجال إلا بعد أن بُشّر بالذكرين أيوب وعبد النور، ودليل هذا في الرواية: " أبا هدي، هو الآخر صارت جلسته مع رجال الحيّ نكهة أخرى، تخلص من عقدة النقص فقد صار والدا لذكرين سيصيران رجلين يعتمد عليهما في الحياة"[27]. هذه العقدة كانت منذ الجاهلية حتى وأنّ الرجل الذي يبشر بأنثى لا يجالس قومه وهي مذكورة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثى ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا وَهُوَ كَظيمٌ ﴿58﴾ يَتَوارى مِنَ القَومِ مِن سوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمسِكُهُ عَلى هونٍ أَم يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحكُمونَ ﴿59﴾﴾. سورة النحل، الآيتان 58 و59. كانت المرأة في الجاهلية تُحرم من شتى حقوقها، لكن بفضل الله جاء الإسلام وأعاد لها مركزها، فالمرأة هي الزوجة والأم والأخت، ولها مكانة وأوصى بها الله ورسوله ﷺ، والمرأة العربية تحديدا كان لها وزنها، فهي كانت تساند الرجال في أعمال الرجال، كالجهاد في سبيل حرية الوطن، ولمعت أسماء لنساء جزائريات ثوريات حققن الفخر والمجد لأنفسهن وللوطن، وخلّد التاريخ أسماء هؤلاء النسوة بأحرف من ذهب، أمثال: لالا فاطمة نسومر، جميلة بوحيرد.. وغيرهما. وأشارت جميلة طلباوي إلى دور المناضلة في قولها: "الجدة أمّا ستي تلك المرأة السمراء الطويلة الممتلئة ضخمة الجسم، كانت لها هيبة خاصة في الحيّ الشعبي الدبدابة، كيف لا وهي المجاهدة التي حملت السلاح وحاربت ضد الاستعمار الفرنسي إلى جانب الرجال الذين كانوا ينادونها باسمها الثوري المستعار (السي قدور)"[28]. نعم، خاضت المرأة جميع الميادين، وأمثال هؤلاء النساء هن من حررن البلاد وأنفسهن من القيود والضعف، وكنّ قدوة لبنات جنسهن. وأصبح للمرأة اليوم شأن عظيم، وذلك راجع لإنجازاتها في شتى الميادين: الطب، الفلسفة، الأدب، الفن... وغيرها من مجالات الحياة، وأصبحت تنافس الرجل في الأعمال، وكثيرا ما نسمع بأسماء لنساء لامعات في مجال الأدب وتخطين الشهرة الوطنية إلى العالمية، وحجزن أماكن لأنفسهن، وأصبحن يجلسن على مقاعد كانت حكرا على بعض الرجال، المرأة التي كانت فقط آلية لأعمال البيت أو جسد خلقًا فقط لترخي شهوات ومتطلبات الرجل كما يظنّ البعض، أو بصيغة أدقّ فئة الرجال التي مازالت على عهد الجاهلية، ذوو التفكير المحدود بالرغم من كثير من الآيات والأحاديث التي بيّنت للرجل معنى المرأة، وأنّ الله كرّم هذا المخلوق وأنها رغم ضعفها إلا أنها قادرة، بل تتحمّل أقصى أنواع الألم على وجه الأرض إلا أنهم ينكرون كلّ هذا وبقيت عقولهم متحجّرة وفكرهم ينتصر إلى تهميش المرأة. والله سبحانه لا ينفي أيّ صفة في الرجل عن الأنثى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿35﴾﴾. سورة الأحزاب، الآية 35. وفي قوله: ﴿مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ ما كانوا يَعمَلونَ ﴿97﴾﴾. سورة النحل، الآية 97. أعاد الإسلام للمرأة اعتبارها بعد التهميش، وساوى بينها وبين الرجل في جملة من الأمور، لكن الرجل (الذكر) يفوق الأنثى درجة في أمور أخرى أشار الله في القرآن الكريم وهناك مجموعة من الآيات

الدالة على هذا، نذكر منها قوله عزل وجلّ في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾. سورة النساء، الآية 01.

لم تتحدث الروائية جميلة طلباوي فقط عن المرأة العربية في روايتها "قلب الإسباني" بل تعدّتها إلى الحديث عن المرأة في الضفة الأخرى –الغربية- في حديثها عن شخصية الطبيبة الإسبانية "صوفيا التي بفضلها بعد فضل الله عادته الروح إلى عبد النور أثناء إجرائها عملية زراعة قلب في حديث جملية عن هذه المرأة –صوفيا- تبيّن لنا المرأة في الثقافة الغربية ونجاحاتها خاصة الدور الذي منحته إياها داخل روايتها دور الطبيبة المنقذة للبطل "عبد النور": الذكر الذي كان انتصارا للأم العربية وصوّرت لنا أنها كانت سندًا له في غربته وأنها منحته الحياة من جديد فكانت الطبيبة والزوجة والحبيبة والوطن الثاني له، وتوجد مقاطع سردية كثيرة داخل الرواية تدلّ على هذا الطرح، نذكر منها قولها: "عبد النور ظلّ مدينا لصوفيا بحياته، فيوم تقبل في حالة حرجة إلى المستشفى إثر أزمة قلبية، ظلت تقف إلى جانبه وترعاه"[29]. وفي قولها أيضا: "صحيح أنه كان محظوظا بتعرّفه على صوفيا التي أعجبت به وأحاطته برعايتها من أوّل يوم التقى فيه بها صدفة في أحد مطاعم مدريد"[30]. نعم، صوفيا الطبيبة الإسبانية هي التي كانت سندا وسببا في إعادة الحياة لعبد النور العربي الذي كان يعيش في مجتمع يرى أنّ الذّكر هو الأساس، وجود الذكر في عائلة "أبا هادي" الذي كان أمنية تحققت بميلاد الذكرين "أيوب وعبد النور"، أصبح هاجسا حتى في حياة أخته هي الأخرى عاشت بسبب أنها أنجبت خمسة إناث فهجرها زوجها رغم أنّ هذا الزوج كان متعلما ويعرف أنّ الذكر هو المسؤول عن جنس الجنين، لكن حتى تعليمه لم يلغ تعصبه للذكر داخل الأسرة، هذا كله لأنه جُبل وفُطر في مجتمع يمجّد الرجل ويجعله مركز الحياة، ويمش المرأة التي هي بالأساس منبع للخلق، فالذكر ينشأ في رحم أنثى، نجد هذا يتجلى في قول الروائية: "الفكرة لم تمت بعد فأخته العايشة عانت الأمرّين من إنجاب الإناث، ورغم أنّ زوجها متعلّم ويعمل معه كممرض في نفس المستشفى، ويعرف بأنّ الرجل هو المسؤول في جنس المولود إلا أنه هجر العايشة بعد أن أنجبت الفتاة الخامسة التي أسماها (التالية)" [31]. رغم أنه متعلم إلا أنه يشارك مجتمعه الذي نشأ فيه في فكرة مركزية الرجل وهامشية المرأة لأنه في عرفهم، وهذا في القول التالي: "المرأة بدون أولاد في عرفهم خيمة بلا أوتاد، فمن يمسك بها كي لا تتهاوى فتسقط (الخيمة يشدوها أوتادها والمرا يشدوها أولادها"[32]. الأعراف في المجتمع الجزائري أشياء ثابتة لم تتغيّر رغم مرور العصور ورغم التطور الفكري والثقافي، إلا أنه في هذه الفكرة (مركزية الذكر) لم يتفتح العقل، وبقي راسخا على الصورة الأولى الجاهلية، كلّ هذا جعل المرأة العربية تثور حول التهميش، وأصبحت تدافع بكتاباتها حول حقها الذي هضمه المجتمع تحت شعار الأعراف والمركز للرجال، اليوم أصبحت توجد كتابات نسوية تطرح هذه الفكرة (هامشية المرأة ومركزية الرجل) وتدافع عن الأنوثة الضائعة في مجتمع ذكوري، وكانت هذه الكتابات النسوية دافعا لظهور ما يعرف بالنقد النسوي. هذا الذي له علاقة بالنقد الثقافي لأنه هو الآخر من الدراسات ما بعد البنيوية جاء في النقد النسوي كثير من المصطلحات التي تركّز على المرأة ونتاجاتها، نذكر على سبيل المثال مصطلح "**الجنوسة**" **Genedar** مصطلح نقدي حديث ينتمي إلى النقد النسوي، ويميل إلى مجموعة مفاهيم مختلفة حسب تناول الناقدات له، فمن معانيه: التركيز على الأنوثة وتقديم نتاجاتها بصورة منعزلة عن إبداعات الرجل وخبراته، ومن معانيه الأخرى إلغاء الفواصل الجنسية بين الرجل والمرأة، والدعوة إلى التحرر الجنسي والأخلاقي والعلمي والتقني... إلخ. وتتعدّد مفاهيم هذا المصطلح لم يستقر على مدلول محدّد، وهذا يعكس حيويته، وإمكانيته في

التطور الدلالي"[33]. مع ظهور هذه الدراسات والكتابات أصبح للمرأة شأن في مجال الأدب عامة والنقد خاصة، وأصبح القلم هو سلاح الأنوثة وبرزت معه أسماء كثيرة لكاتبات وشاعرات وروائيات أثرين الأدب العربي بها. ورواية "قلب الإسباني" مدونة هذه الدراسة للروائية "جميلة طلباوي" خير دليل لمثل هذه الأفكار والهامشية عانت منها هي شخصيا وجسدتها في كتابتها سواء كان نتيجة لوعي منها ولاوعي.

**2. نسق المرأة رمز العشق والحب:**

يُعدّ هذا النسق من بين أهمّ الأنساق الاجتماعية التي تناولتها الروائية جميلة طلباوي منذ بداية الرواية وهي تسرد لنا قصة حب البطل "عبد النور" للطبيبة الإسبانية "صوفيا"، التي تبادله الشعور، كتبت قصة حبهما بكلمات مثيرة ووصفت مشاهد كثيرة جمعتهما في إسبانيا. الحب والتغزّل في البلاد العربية يعد من الطابوهات داخل المجتمع، وحتى أنّ الشعراء القدامى كان يحرم عليهم الزواج بالمحبوبة، التي يتغزّلون بها في أشعارهم لأن في عرف العرب هذا انتهاك للشرف وعرض القبيلة، واليوم نجد الكتابة في هذا الموضوع الحب وقصص العشق شاعت ووصلت إلى الرواية العربية عامة، والجزائرية خاصة، حيث نجده بارزًا في مواضع عدة من رواية "قلب الإسباني"، نذكر منها قولها: "سألها ذات مساء كيف لها أن أحبّت شخصًا أعرجًا مثله قهقهت حتى كادت قنينة المشروب أن تسقط من يدها"[34]. هذا يوضّح لنا أنّ قصّة الحبّ هذه ليست في بلادنا العربية لأنّ المرأة العربية امرأة مسلمة لا تتناول الخمر وحبها عفيف طاهر لا يكون في كتابات متاحة للجميع كما ذكرنا أنها التغني بالحب والمحبوبة أمر غير محبذ عند العرب وأنه لا يمكن ممارسة مثل هذه العلاقات في وطننا العربي للآن المجتمع تحكمه غيوم العادات والتقاليد، وذكرت جميلة طلباوي أنّ "عبد النور" انفلت من القيود التي كان ملزما بها في منطقته، تحديدا في هذا المشهد: "في مدريد اكتشف عبد النور الحبليولي المتمرّد على العادات والتقاليد حلاوة أن يراقص امرأة دونما قيود، لا يقف في صفّ من الرجال ينتظر النتيجة إما أن يكتفي بمتعة الرقصوحشا بلا يديه مع يدي الجماعة التي ستحبه وتدافع عنه في كلّ الأحوال، فقانون الجماعة هو الساري المفعول مهما تعدّدت القوانين والدساتير، وحده العرف يحكم الفرد في جماعة لن ترحم المتمرّد، ولا يكون فيه للحب وجود إلا بموافقتها، فالجماعة تقاضي القلوب وتعاقبها"[35]. في هذا المقطع السردي تؤكد جميلة طلباوي على عدم وجود الحبّ في عُرفهم، وأنه يعاقب المتمرّد على الأعراف والتقاليد، لكن "عبد النور" تمرّد عليها لأنه في غير بلاده، هنا يتجلّى النسق المضمر أنه لا وجود للحب في المجتمعات العربية، وإن وجد فهو لا يصرّح به لأنه من الطابوهات، لكن رغم هذا نجد اليوم تمرد في كتابات وروايات عربية تلبس مثله هذه المظاهر ثوب الطهارة والعفة لكن في النتيجة تؤدي إلى التفسخ والانحلال الأخلاقي.

تذكر جميلة طلباوي كثير من المشاهد التي عاشها "عبد النور" مع "صوفيا" تحت مسمى الحبّ، من بينها: "لم يكن لعبد النور أن يقاوم سحر هذه المخلوقة الملائكية الوجه، ولا استطاع مقاومة رغبة البقاء في حضنها، فوافق على البقاء وصارت صوفيا زوجة له"[36]. ثم نذكر مشهدًا آخر يعبّر "عبد النور" عن تعلقه الشديد بصوفيا في قولها: "هذه الروح الملائكية في صوفيا جعلت من عبد النور مهود وسابها، فكيف له اليوم أن يتحمّل تخليها عنه"[1]. هذه المشاهد والأحداث داخل الرواية يمكن اعتباره مسكوتًا عنه في المستوى الجنسي. من خلال ما سبق

[1]– المصدر نفسه، ص 185.

في المقاطع التي ذكرناها وأخير غيرها في الرواية، نصل إلى أنّ المرأة كانت رمزًا للحب والعشق، وأنّ هذا المفهوم وهذه العلاقات تنتشر في البيئة الأجنبية على خلاف الثقافة العربية التي تعدّ التصريح بالحب من الطابوهات داخل المجتمع ويعاقد من تعدّ على الأعراف التي تحكمه وتنظمه، والكتابة في مثل هذا الموضوع (الحب) في بعض القصص التي نقرأها بصورتها الفنية بلباس الجمال وراءها هذا الجمال يتحق قبح ومحرمات تتم إلى التفكير دون وعي من القارئ وعليه يجب على القارئ الحذر في تناول مثل هذه الأفكار الجميلة في ظاهرة، والمسمومة في باطنها هذا ما يكنّه القول فيما يخص هذا النسق، وكما ذكرنا سابقا أنّ الروائية جميلة طلباوي تطرقت إلى الكثير من القضايا الاجتماعية مثل الفقر الذي عانت منه عائلة البطل عبد النور، السبب الذي جعله يرحل من بلاده الجزائر نحو إسبانيا، التي وجد فيها العمل الذي حرمه منه في بلاده ووظّف هناك في مصنع لصناعة الأدوية. هنا تستوقفنا الروائية عند نقطة مهمة وهي عدم توفير فرص العمل لمتعلمين داخل الوطن، وهذا تسبب بظاهرة أطلقوا عليها "هجرة الأدمغة" بالإضافة إلى أنها أشارت إلى فكرة إنسانية وهي التّبرّع بالأعضاء من خلال قصة "عبد النور" المريض بالقلب، ثمّ منحته صوفيا فرصة للحياة من جديد خلال إخضاعه لعملية زرع للقلب.

جميلة طلباوي كانت ملمة بجملة من القضايا الإنسانية والمجتمعية، ذكرنا منها جزءًا في هذا التحليل، ويمكن الكشف عن قضايا أخرى أثناء قراءة رواية "قلب الإسباني".

## رابعا. خاتمة

في ختام هذه الدراسة، التي قادتنا إلى دراسة وتحليل رواية "قلب الإسباني"، والكشف عن أهم الأنساق السوسيو ثقافية التي تجلّت في الرواية، فإنّه من الطبيعي أن نخلص في ختامها إلى جملة من النتائج، التي نوجزها في النقاط الآتية:

- النسق واسع في مفهومه اللغوي، إذ يحمل معاني عديدة، من بينها:

أ. النسق هو ما كان على نظام واحد وجرى مجرى واحدا.

ب. عطف الكلام بعضه على بعض، ولذلك يطلق على حروف العطف (حروف نسق)، هذا معناه أنّ لفظة النسق تطلق على الأشياء المتتابعة ذات التنظيم الواحد.

- تعددت تعريفات النسق في الجانب الاصطلاحي، وهذا لتعدد استعمالاته من طرف النقّاد، وكذلك توظيفه في المناهج المختلفة.
- النسق في اللّسانيات حمل معنى النظام عند علماء اللغة (دي سوسير)، حيث يتشكّل من خلال التركيب، وأنّ العلامة اللغوية تكتسب دلالتها من علامات أخرى.
- أمّا فيما يخصّ النسق والبنيوية، فإنّ لفظة النسق كانت أشمل من البنية، بحيث أنه يمكن تعريف النسق فيها على أنه مجموعة من البنى تجمع بينها علاقات ترابط وتركيب تتألّف فيما بينها لتنتج الدلالة، ونادت بالنسق الثابت المغلق لأنها تهتم بما هو حقيقي واقعي.
- النسق في الدراسة ما بعد البنيوية أخذ مفهومًا مغايرًا لما هو عليه في اللسانيات والبنيوية، حيث ثار ضد النسق المغلق، الذي أدّى إلى جفاف الدراسات، وقال عبد الله الغذامي في هذا المجال أنّ النّسق في النقد

الثقافي يحدّد عبارة وظيفة، وليس عبر وجوده المجرّد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدّد ومقيّد.

- النقد الثقافي من بين أهم الاستراتيجيات النقدية التي من أهدافها مقاربة الأعمال الإبداعية بحثًا عن الأنساق الثقافية التي أسهمت في تشكيل السياق العام للنص، وهذا لكشف المضمرة منها وراء الجمالية والأدبية التي تحكم الأعمال الأدبية.
- يحظى النقد بأهمية بالغة في الساحة النقدية، وهذا راجع إلى تقديمه نظرة مغايرة في مقاربة النصوص الإبداعية باختلاف أشكالها، شعرا ونثرا، آداب رسمية أو شعبية، يسعى من خلالها النقد الثقافي لمقاربتها ثقافيا لا جماليا (كشف المضمر-المسكوت عنه).
- النقد الثقافي جهاز مصطلحي خاص، وكذلك إجراءات كغيره من المناهج والإجراءات تتمثل في: الوظيفة النسقية، الجملة النوعية، والمؤلف المزدوج.
- احتوت رواية "قلب الإسباني" جملة من الأنساق الثقافية، تباينت بين النسق الاجتماعي والديني والتاريخي، والثقافي، حيث أدّت كلها دورًا مهما في تكوين العناصر الثقافية للرواية.
- يُعدّ النسق الاجتماعي المحور الأساس الذي بُنيت عليه رواية "قلب الإسباني"، حيث تجلّت فيه جملة من الأنساق الظاهرة والمضمرة، أهمها: نسق المرأة بين المركز والهامش، الذي توصّلنا فيه إلى أنّ المجتمع العربي عامة والجزائر خاصة، هو مجتمع ذكوري بامتياز، وأنه رغم أنه مجتمع محافظ ومسلّم إلاّ أنّه مازال يهمّش المرأة ويعاملها على أفكار كانت راسخة في العقول العربية في الجاهلية.
- نسق المرأة رمز للعشق والحب، هو الآخر من بين أهمّ الأنساق الاجتماعية التي تجلّت في رواية "قلب الإسباني"، حيث وصلنا فيه إلى أنّ قضية الحب، التي كانت من الطابوهات الاجتماعية ويعاقب عليها العرف، أصبحت مباحة في الروايات العربية، حيث نجد جملة من الروائيين والروائيات العرب، كتبوا فيها وأعطوها صبغة جمالية فنية تستُرًا عن مضمونها وجوهرها، الذي يؤدي إلى انحلال أخلاقي داخل المجتمعات العربية.
- تجلّى النسق الثقافي والحضاري في رواية "قلب الإسباني" من خلال نسق الصراع بين الأنا والآخر، الذي يبحث في الهوية، كشفنا من خلال جملة الملفوظات السردية أنّ الممارسات التي تظهر على الشعب الجزائري المصوّر في الرواية هو مقلّد للآخر الأجنبي، لأنّه تخلى على أبسط الأمور التي تمثّل هويته الثقافية، مثل اللباس، خلع النقاب، الذي هو تعدٍ على العقيدة الإسلامية، الرمز الأساس للهوية العربية.

## هوامش وإحالات المقال

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج5، دار مكتبة الهلال، د.ط، د.ت، ص 81.

[2] ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة (نسق)، ج10، دار صادر، بيروت- لبنان، ط3، 1414هـ، ص ص352، 353.

[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج5، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1399هـ- 1979م، ص 420.

[4] ينظر: عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1998م، ص 184.

[5] ينظر: عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ط، 2007م، ص 66.

[6] إيديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993م، ص 416.

[7] ينظر: بو ثلجة مختار، العلاج النسقي، مطبوعة جامعية سنة ثالثة علم النفس العيادي، السداسي الثاني، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2016م- 2017م، ص 04.

[8] ينظر: كمال أو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط2، 1981م، ص 111.

[9] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص 49.

[10] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2001م، ص 76.

[11] المرجع السابق، ص 76.

[12] المرجع نفسه، ص ص 76، 77

[13] أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاوي، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2003، ص ص 30، 31.

[14] حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، دار العربي للعلوم، ناشرون، ط1، 2007م، ص 11.

[15] ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ص 305.

[16] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 83.

[17] حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2002م، ص 94.

[18] ينظر: المرجع السابق، ص ص 94، 95.

[19] المرجع نفسه، ص 96.

[20] ينظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 64.

[21] المرجع السابق، ص 64.

[22] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، منشورات الوطن اليوم، العلمة-سطيف، ط1، 2018، ص 17.

[23] المصدر نفسه، ص 17.

[24] المصدر السابق، ص 19.

[25] المصدر نفسه، ص 21.

[26] المصدر نفسه، ص 35.

[27] المصدر نفسه، ص 25.

[28] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص ص: 21، 22.

[29] المصدر السابق، ص 49.

[30] المصدر نفسه، ص 47.

[31] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص 75.

[32] المصدر نفسه، ص 75.

[33] محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2007، ص 340.

[34] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص 48.

[35] المصدر السابق، ص 54.

[36] المصدر نفسه، ص 184.

## سادسا. قائمة المصادر والمراجع


1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج5، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1399هـ- 1979م.
2. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة (نسق)، ج10، دار صادر، بيروت- لبنان، ط3، 1414هـ.
3. أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاوي، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2003.
4. إيديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993م.

5. بوثلجة مختار، العلاج النسقي، مطبوعة جامعية سنة ثالثة علم النفس العيادي، السداسي الثاني، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2016م- 2017م.
6. جميلة طلباوي، قلب الإسباني، منشورات الوطن اليوم، العلمة-سطيف، ط1، 2018م.
7. حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2002م.
8. حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، دار العربي للعلوم، ناشرون، ط1، 2007م.
9. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج5، دار مكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
10. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1998م.
11. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2001م.
12. عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ط، 2007م.
13. كمال أو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط2، 1981م.
14. محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2007م.
15. محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000م.
16. ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002م.